

ونظرة واحدة في كتاب (العلم الشامخ) وما علق عليه مؤلفه المقبلي ترينا المقبلي مجدداً وترينا المقبلي مصلحاً وترينا المقبلي علامة مجتهداً، وتدلنا على أن المقبلي ما كان يتوسط في دراسته لكتب الدين حتى تنبه لما عليه أهل عصره من الجمود على ما عليه آباؤهم وأجدادهم، وأخذهم جميع ما تركوا لهم من آراء وأقوال في كتب مخصوصة قضايا مسلمة لا يدور حولها نقاش ولا نقد ولا جدال، نتيجة للتقليد الذي أوجبوه على أنفسهم، فكان حائلاً بينهم وبين الفهم لكتاب الله تعالى، ولسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا فرق بين مذهب ومذهب، وبين قطر وآخر، يناقش مشايخه في كل ما لم يظهر له دليله حتى ولو كان امام زمانه (المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم) أو محقق عصره (السيد حسن بن أحمد الجلال) غير ناظر الى استهزاء المستهزئين ولا كيد الحاسدين كما هو شأن كل مجدد، وكما هي العادة عند كل مصلح، كما يراه أيضاً شديداً على هؤلاء المقلدين صارخاً بالتبني من التقليد ومن التمثيل في غضون أبحاث الكتاب نثراً ونظماً، داعياً الى وجوب الاجتهاد على من عرف علوم الاجتهاد المعروفة وشب عن الطوق أو شاب ناهياً عن التقليد من قد استطاع الى الاجتهاد سبيلاً.

وما يكاد القارئ لكتاب (العلم الشامخ) هذا يتوسّط في خطبة كتابه حتى يندهش كثيراً حينما يفرغ سمعه اعلان المقبلي حرية الفكرية واجتهاده المطلق في أول ما تلمس يده هذا الكتاب ويفتح أول ورقة من أوراقه وفي ثانی صفحة من صفحات هذا الكتاب القيّم بشجاعة أدبية وحرية فكرية لا يعهد لها ذلك العصر، الجامد ولا يكاد يعرفها اذ يسمعه يقول: (هيئات لقد أعمى التعصب البصائر وأفسد التمثيل السرائر غير أني ذاهب الى ربي سيهدين). ويسمعه يقول أيضاً: (اللهم انّك لا مذهب لي الا دين الاسلام فمن شمله فهو أخي وصاحبي). ويقول أيضاً: (اني برء من الانتساب الى امام معين يكفي أني من المسلمين فإن سئلت ولم يبق لي من الاجابة بدّ قلت مسلم مؤمن). ثم يراه يقتحم كل لجة من بحار العلوم الاسلامية العميقة ويخوض تلك البحار خوض الجسور لا الجبان الحذور ويراه قد توغل في كل مشكلة يهاب الدّخول فيها غيره من علماء ذلك العصر الذي